الصّبر والصّلاة، إعدادٌ إلهيّ

الشّهادةُ حياةٌ، لا تُدركها الحواسّ القاصرة

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

وقفةٌ مع تفسير العلّامة الطّباطبائيّ في (الميزان)، لآيات من سورة البقرة، يبيّن فيه أنّ رحمةَ الله تعالى لا تُنال إلّا بتوطين النّفس على تحمُّل المشاقّ والابتلاءات الرّبانيّة، وأنّ الظّفر في الامتحان الإلهيّ يتأتّى من: الاستعانة بالصّبر والصّلاة أوّلاً، والاعتقاد الجازم بحُسن العاقبة وطِيب المنقلَب ثانياً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ البقرة:١٥٣-١٥٧.

خمسُ آياتٍ مُتّحدةُ السّياق، مُتّسِقَةُ الجُمَل، ملتئمةُ المعاني، يَسوقُ أوّلُها إلى آخرها، ويرجع آخرُها إلى أوّلها، وهذا يكشف عن كَونها نازلةً دفعةً غير متفرّقة، وسياقُها ينادي بأنّها نزلت قُبيل الأمر بالقتال وتشريع حُكم الجهاد، ففيه ذكرٌ من بلاءٍ سَيُقبل على المؤمنين، ومصيبةٌ ستُصيبهم. "..."

وبالجملة، ففي الآيات تلويحٌ إلى إقبال هذه المحنة بِذِكْر القتل في سبيل الله، وتوصيفه بوصفٍ لا يبقى فيه معه جهةٌ مكروهة، ولا صفةُ سوءٍ، وهو أنّه ليس بموتٍ بل حياةٌ، وأيُّ حياةٍ! فالآيات تستنهضُ المؤمنين للقتال، وتُخبرُهم أنّ أمامهم بلاءً ومحنةً، لن ينالوا مدارجَ المعالي، وصلاةَ ربِّهم ورحمتَه، والاهتداءَ بهدايتِه، إلّا بالصَّبر عليها وتحمُّلِ مشاقِّها، ويعلِّمهم ما يستعينون به عليها، وهو الصَّبرُ والصَّلاة.

الاستعانة بالصّبر والصّلاة

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة:١٥٣

الصَّبر: مِن أعظمِ المَلَكات والأحوال الّتي يمدحُها القرآن، ويكرّر الأمر به حتّى بلغ قريباً من سبعين موضعاً من القرآن، حتّى قيل فيه: ﴿..إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ لقمان:١٧، وقيل: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ فصّلت:٣٥، وقيل: ﴿..إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الزّمر:١٠.

والصّلاة: من أعظم العبادات الّتي يُحَثُّ عليها في القرآن، حتّى قيل فيها: ﴿..إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ..﴾ العنكبوت:٤٥، وما أوْصى اللهُ في كتابه بوصايا إلّا كانت الصّلاةُ رأسَها وأوّلَها.

ثمَّ وَصف سبحانه الصَّبرَ بأنَّ الله مع الصّابرين المُتّصِفين بالصّبر، وإنّما لم يَصف الصّلاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ البقرة:٤٥، لأنَّ المقامَ في هذه الآيات، مقامُ ملاقاةِ الأهوال ومقارعةُ الأبطال، فالاهتمامُ بأمرِ الصَّبر أنسب، بخلاف الآية السّابقة، فلذلك قيل: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ البقرة:١٥٣، وهذه المعيّة غير المعيّة الّتي يدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿..وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ..﴾ الحديد:٤، فإنّها معيّةُ الإحاطة والقيمومة، بخلاف المعيّة مع الصّابرين، فإنّها معيّةُ إعانةٍ، **فالصَّبرُ مفتاحُ الفَرَج.**

دحضُ ادّعاءات أصحاب الطّبيعة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ البقرة:١٥٤

ربَّما يُقال: إنَّ الخطابَ مع المؤمنين الّذين آمنوا باللهِ ورسولِه واليومِ الآخِر، وأَذْعَنوا بالحياة الآخرة، ولا يُتَصَوَّر منهم القولُ ببطلان الإنسان بالموت بعدما أجابوا دعوةَ الحقّ وسمعوا شيئاً كثيراً من الآيات النّاطقة بالمعاد، مضافاً إلى أنَّ الآية إنَّما تثبتُ الحياةَ بعد الموت في جماعةٍ مخصوصين، وهم الشُّهداء المقتولون في سبيل الله، في مقابل غيرهم من المؤمنين، وجميع الكفّار، مع أنَّ حكم الحياة بعد الموت عامٌّ شاملٌ للجميع؛ فالمرادُ بالحياة بقاء الاسم، والذِّكر الجميل على مرِّ الدُّهور، وبذلك فسَّرَه جمعٌ من المفسِّرين. **ويردُّه:**

أوّلاً: إنَّ كونَ هذه حياة، إنّما هو في الوَهم فقط دون الخارج، فهي حياةٌ تخيُّليّةٌ ليس لها في الحقيقة إلّا الاسم، ومثل هذا الموضوع الوهميّ لا يليق بكلامه، وهو تعالى يدعو إلى الحقّ، ويقول: ﴿..فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ..﴾ يونس:٣٢، وأمّا الّذي سأله إبراهيم في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ الشّعراء:٨٤، فإنّما يريدُ به بقاءَ دعوتِه الحقّة، ولسانِه الصّادق بعده، لا حُسنَ ثنائه وجميلَ ذكرِه بعدَه فحسب.

نعم هذا القولُ الباطل، والوهمُ الكاذب، إنّما يليقُ بحال المادّيّين، وأصحابِ الطّبيعة؛ فإنّهم اعتقدوا ماديّةَ النّفوس وبطلانَها بالموت، ونفوا الحياةَ الآخرة، ثمّ أحسُّوا باحتياج الإنسان بالفطرة إلى القول ببقاء النّفوس وتأثُّرها بالسّعادة والشّقاء بعد موتها، في معالي أمورٍ لا تخلو في الارتقاء إليها من التّفدية والتّضحية، لا سيّما في عظائم العزائم الّتي يموت ويُقتَل فيها أقوامٌ ليَحيا ويعيشَ آخَرون، ولو كان كلُّ مَن مات قد فات، لم يكُن داعٍ للإنسان، وخاصّة إذا اعتَقد بالموتِ والفَوتِ، أنْ يُبْطلَ ذاتَه ليُبقيَ ذاتَ آخرين، ولا باعثَ له أنْ يُحرِّم – بالجَور – على نفسه لذّةَ الاستمتاع من جميع ما يقدر عليه، ليتمتَّع آخرون بالعدل، فالعاقلُ لا يُعطي شيئاً إلّا ويأخذ بَدَلَه.

وأمّا الإعطاءُ من غير بدَلٍ، والتّركُ من غيرِ أخذٍ، كالموتِ في سبيل حياة الغير، والحرمانِ في طريق تمتُّع الغير، فالفطرةُ الإنسانيّةُ تأباه. فلمّا استشعروا بذلك، دعاهُم جبرُ هذا النَّقص إلى وضعِ هذه الأوهام الكاذبة، الّتي ليس لها موطنٌ إلّا ساحةُ الخيال وحظيرة الوَهم. قالوا إنَّ الإنسانَ الحرّ من رقِّ الأوهام والخرافات يجبُ عليه أنْ يَفديَ بنفسِه وطنَه، أو كلّ ما فيه شَرفه، لينالَ الحياةَ الدّائمة بِحُسنِ الذّكر وجميلِ الثّناء، ويجب عليه أن يُحَرِّمَ على نفسه بعضَ تمتّعاته في الاجتماع لينالَه الآخرون، ليستقيمَ أمرُ الاجتماع والحضارة، ويتمَّ العدلُ الاجتماعيّ، فينال بذلك حياة الشّرف والعلاء.

وليتَ شعري إذا لم يكن إنسان [أي إذا مات]، وبطلَ هذا التّركيبُ المادّيّ، وبطلَ بذلك جميعُ خواصّه، ومن جملتها الحياةُ والشّعور، فمَن هو الّذي ينال هذه الحياة وهذا الشّرف؟ ومن الّذي يدركُه ويلتذُّ به؟ فهل هذا إلّا خرافة؟

وثانياً: إنَّ ذيل الآية، وهو قوله تعالى: ﴿..وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، لا يناسبُ هذا المعنى، بل كان المناسِب له أنْ يُقال: بل أحياءٌ ببقاءِ ذكرهم الجميل، وثناءِ النّاس عليهم بعدَهم، لأنّه المناسب لمقام التّسلية وتطييب النّفس.

معيّةُ الله تعالى مع الخلق معيّةُ الإحاطة والقَيمومة، بخلاف المعيّة مع الصّابرين، فإنّها معيّةُ إعانة.

أدركَ المادّيّون احتياجَ الإنسان بالفطرة إلى القول ببقاء النّفوس بعد موتها، فابتدعوا أكذوبةَ خلود الذِّكر بعد فناء صاحبِه.

وثالثاً: أنّ في نظيرة هذه الآية - وهي تفسّرها - وصفُ حياتهم بعد القتل بما ينافي هذا المعنى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران:١٦٩، إلى آخر الآيات، ومعلومٌ أنَّ هذه الحياة حياةٌ خارجيّة حقيقيّة، ليست بتقديريّة.

ورابعاً: إنَّ الجهل بهذه الحياة الّتي بعد الموت لم يكن بعيداً عن بعض المسلمين في أواسط عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله. فإنَّ الّذي هو نصٌّ غيرُ قابلٍ للتّأويل إنّما هو البعثُ للقيامة، وأمَّا ما بين الموت إلى الحشر - وهي الحياة البرزخيّة - فهي وإنْ كانت من جملة ما بيَّنَه القرآن من المعارف الحقّة، لكنّها ليست من ضروريّات القرآن، والمسلمون غيرُ مجمعين عليه، بل يُنكرُه بعضُهم حتّى اليوم، ممَّن يعتقد كَوْن النّفس غير مجرّدة عن المادّة، وأنَّ الإنسان يبطلُ وجودُه بالموت وانحلالِ التّركيب، ثمّ يبعثُه اللهُ إلى القضاء يومَ القيامة، فيُمكن أن يكون المُراد بيان حياة الشّهداء في البرزخ لمكان جَهْل بعض المؤمنين بذلك، وإنْ عَلِمَ به آخرون.

تنبيهٌ وتذكيرٌ بالمعلوم

المُرادُ بالحياة في الآية هي الحياة الحقيقيّة دون التّقديريّة، وقد عدَّ الله سبحانه حياة الكافر بعد موته هلاكاً وبواراً في مواضع من كلامه، كقوله تعالى: ﴿..وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ إبراهيم:٢٨، إلى غير ذلك من الآيات. فالحياةُ حياةُ السّعادة، والأحياءُ بهذه الحياة المؤمنون خاصّة، كما قال: ﴿..وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت:٦٤، وإنّما لم يعلموا، لأنَّ حواسَّهم مقصورةٌ على إدراك خواصّ الحياة في المادّة الدّنيويّة. وأمّا ما وراءَها، فإذا لم يُدركوه، لم يفرّقوا بينه وبين الفناء فتوهَّموه فناءً، وما توهَّمَه الوهمُ مشترَكٌ بين المؤمن والكافر في الدّنيا، فلذلك قال: في هذه الآية، ﴿..بَل لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي: بحواسّكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿..لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، أي باليقين، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ التكاثر:٥-٦.

فمعنى الآية - والله تعالى أعلم - ولا تقولوا لِمَن يُقتَل في سبيل الله أموات، ولا تعتقدوا فيهم الفناءَ والبطلان كما يُفيدُه لفظُ الموت عندكم، ومقابلته مع الحياة، وكما يُعينُ على هذا القول حواسّكم، فليسوا بأمواتٍ بمعنى البطلان، بل أحياءٌ، ولكنّ حواسّكُم لا تنالُ ذلك ولا تَشعر به. وإلقاءُ هذا القول على المؤمنين - مع أنّهم جميعاً أو أكثرهم عالمون ببقاء حياة الإنسان بعد الموت، وعدم بطلان ذاته - إنّما هو لإيقاظهم وتنبيههم بما هو معلومٌ عندهم، يرتفعُ بالالتفات إليه الحرَجُ عن صدورهم، والاضطرابُ والقلقُ عن قلوبهم إذا أصابَتهم مصيبةُ القتل، فإنّه لا يبقى مع ذلك من آثار القتل عند أولياء القتيل إلّا مفارقةٌ في أيّامٍ قلائل في الدّنيا، وهو هيّنٌ في قبال مرضاة الله سبحانه، وما نالَه القتيلُ من الحياةِ الطّيّبة، والنّعمةِ المُقيمة، ورضوانٍ من الله أكبر. وهذا نظيرُ خطاب النّبيّ بمثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ البقرة:١٤٧، مع أنّه صلّى الله عليه وآله أوّلُ الموقنين بآيات ربّه، ولكنّه كلامٌ كُنِّيَ به عن وضوح المطلب وظهوره، بحيث لا يقبلُ أيَّ خطورٍ نفسانيٍّ لخلافه.

قولُ النّبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ الشّعراء:٨٤، يريدُ به بقاءَ دعوتِه الحقّة، واستمرار رسالتِه بعده.

الحياةُ بعدَ الموت حياةٌ حقيقيّةٌ غيرُ تقديريّة، وقد عدَّ اللهُ سبحانه حياةَ الكافر بعد موته هلاكاً وبَواراً.

موجز في التّفسير

سورةُ «الفتح»

إعداد : سليمان بيضون

*** السُّورة الثّامنة والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ عند رجوع النّبيّ صلّى الله عليه وآله من «الحُدَيبية».**

*** آياتُها تسعٌ وعشرون، وهي مدنيّة، يُكتَب لقارئها ثوابُ مَن بايع رسول الله ﷺ تحت الشّجرة، ويُلحَق يوم القيامة بالصّالحين من عباد الله عزّ وجلّ.**

*** سُمِّيتْ بسورة «الفتح» لابتدائها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، وذكرتْها الرّوايات باسم «إنّا فتحنا».**

عن أَنَس قال: لمّا رجعنا من غزوة الحُدَيْبِيَة، وقد حِيلَ بيننا وبين نُسكنا، فنحن بين الحزن والكآبة، إذ أنزل الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيةٌ هي أحَبُّ إليَّ من الدُّنيا كلّها**».

وعن عبد الله بن مسعود قال: «أقبلَ رسولُ الله ﷺ من الحُديبية، فجعلتْ ناقتُه تُثقل، فتقدَّمْنا، فأنزَل اللهُ عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، فأدرَكَنا رسولُ الله ﷺ وبه من السّرور ما شاءَ الله، فأَخبرَ أنّها أُنزلتْ عليه».

هدفُ السّورة

«**تفسير الميزان**»: مضامينُ آيات سورة الفتح بفصولها المختلفة ظاهرةُ الانطباق على قصّة صلح الحُدَيبية، الواقع في السّنة السّادسة من الهجرة، وما وقع حوله من الوقائع، كقصّة تخلُّف الأعراب، وصدّ المشركين، وبيعة الشّجرة على ما تُفصِّلُه الآثار.

فغرَضُ السّورة بيانُ ما امْتَنَّ اللهُ تعالى على رسوله ﷺ، بما رزقَه من الفتح المبين في هذا السَّفَر، وعلى المؤمنين ممّن معه، و[هدفها] مدحُهم البالغ، والوعدُ الجميل للّذين آمنوا منهم وعملوا الصّالحات.

محتوى السّورة

«**تفسير الأمثل**»: بمراجعةٍ إجماليّةٍ لسُورة الفتح يُمكن القول إنّها تتألّف من ستّة أقسام:

١ – تبدأ السّورة وتنتهي بموضوع البُشرى بالفتح، مؤكّدةً تحقُّقَ رؤيا النّبيّ ﷺ، الّتي تدور حولَ دخوله وأصحابه مكّة، وأداء مناسك العُمرة.

٢ – يتحدّثُ قسمٌ ثانٍ من السّورة عن الحوادث المتعلّقة بصُلح الحُديبية، ونزول السّكينة على قلوب المؤمنين، و«بيعة الرّضوان».

٣ – تتحدّث الآيتان الثّامنة والتّاسعة عن مقام النّبيّ ﷺ، وهدف بعثتِه.

٤ – يكشفُ قسمٌ رابعٌ من السّورة السّتار عن غدر المنافقين، ونقضِهم العهد، ونكثِهم له، ويعطي أمثلةً من أعذارهم الواهية في مسألة عدم مشاركتهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله جهادَه المشركين والكفّار.

٥ – تبيّن السّورة في الآية السّابعة عشرة مَن هم المَعذورون الّذين لا حَرَج عليهم في ترك الجهاد العسكريّ.

٦ – القسم الأخير من السُّورة يتحدّث عن خصائص أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وأتباعه في طريقته وسنّته، وصفاتهم الّتي يتميّزون بها.

ثوابُ تلاوة سورة الفتح

«**تفسير مجمع البيان**»: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ قَرَأَها، فكأنّما شهدَ مع محمّد فتحَ مكّة**». وفي رواية: «**فكأنّما كان مع مَن بايَع محمّداً تحت الشّجَرة**».

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «حَصِّنوا أموالَكم، ونساءَكم، وما ملكت أَيمانُكم من التّلَف بقراءة (إنّا فَتَحْنا)، فإنّه إذا كان ممّن يُدمِنُ قراءتَها نادى منادٍ يومَ القيامة حتّى يُسمِعَ الخلائق: أنت من عباديَ المُخلصين، ألحِقُوه بالصّالحين من عبادي، وأَدْخِلوه جنّاتِ النّعيم، واسْقوه من رَحيقٍ مَختومٍ بِمزاجِ الكافور».

تفسيرُ آياتٍ منها

بعد ذكرِ الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله تعالى عليه.

قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ..﴾ الفتح:٢.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «مَا كانَ لَه [للنبيّ] ذَنْبٌ وَلا هَمَّ بِذَنْبٍ، ولكنّ اللهَ حمَّلهُ ذنوبَ شيعتِه ثمّ غفَرَها له..».

** يقول السّيّد ابن طاوس رحمه الله في كتاب (سعد السّعود): «وأمّا لفظ ﴿..مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾، فالّذي نقلناه من طريق أهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم، أنّ المرادَ منه: **ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ عندَ أهلِ مكّة وقريش**. يعني: ما تقدّمَ قبل الهجرة وبعدها؛ فإنّك إذا فتحتَ مكّة بغَير قتلٍ لهم، ولا استيصال، ولا أخذِهم بما قدّموه من العداوة والقتال، غفروا ما كانوا يعتقدونه ذنباً لك عندَهم؛ متقدّماً أو متأخّراً..».

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ..﴾ الفتح:٤.

سُئل الإمام الصّادق عليه السلام عن معنى «السّكينة» في الآية، فقال: «**هو الإيمانُ، قالَ عزَّ مِن قائل: ﴿..لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ..﴾**.

قوله تعالى: ﴿..لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الفتح:٢٥.

* سُئل الإمام الصّادق عليه السّلام: «ما بالُ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يقاتل فلاناً، وفلاناً، وفلاناً؟ قال عليه السّلام: **لآيةٍ في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿..لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**، قيل له عليه السّلام: ما يعني بتَزَايلهم؟ قال: **ودايعُ المُؤمنين في أصلابِ قومٍ كافرين، وكذلك القائمُ عليه السّلام؛ لن يظهرَ أبداً حتّى تَخرجَ ودايعُ الله عزَّ وجلّ، فإذا خرجَتْ ظَهرَ على مَن ظهرَ من أعداء الله عزَّ وجلَّ فقتلَهم**». [تزيّلوا بمعنى تميّزوا بافتراق]

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ..﴾ الفتح:٢٦.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «**كانَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله يَتَعوّذ في كلّ يومٍ مِن ستِّ خصالٍ: من الشّكِّ، والشِّركِ، والحَميَّةِ، والغَضَبِ، والبَغْيِ، والحَسَد**».

قوله تعالى: ﴿.فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ..﴾ الفتح:٢٦.

* رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عهدَ إليَّ في عليّ بن أبي طالب عهداً "..." قال: إنّ عَليّاً رايةُ الهُدى، وإمامُ أوليائي، ونورُ مَن أطاعَني، وهو الكلمةُ الّتي ألزمتُها المتّقين، مَن أحبَّهُ أحبَّني، ومَن أطاعَهُ أطاعَني**».

** من خطبةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا عُرْوةُ الله الوُثْقى، وكلمةُ التّقوى**».

قوله تعالى: ﴿..لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ..﴾ الفتح:٢٧.

* قيل للإمام الصّادق عليه السلام: كيف صار الخَلْقُ عليه [أي على مَن يحجّ لأوّل مرّة] واجباً دون مَن قد حجّ؟ فقال عليه السّلام: «**ليَصيرَ بذلك مُوسَماً بسِمَة الآمنين، ألا تسمعُ اللهَ عزّ وجلّ يقول: ﴿..لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ..﴾**».

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ..﴾ الفتح:٢٩.

* الإمام الباقر عليه السلام: «**المؤمنُ أخو المؤمنِ لأبيه وأمّه، لأنَّ اللهَ خَلَقَ طينتَهُما مِن سَبعِ سماواتٍ، وهي من طينةِ الجنان**». ثمّ تلا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وقال: «**فهلَ يكونُ الرَّحِمُ إلّا برّاً وَصُولاً**».

** الإمام الصّادق عليه السلام: «**تواصَلُوا، وتَبارُّوا، وتَراحَمُوا، وكُونُوا إخوةً بَرَرَةً كما أَمَركُم اللهُ عزَّ وجلَّ**».